مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص37– ص70 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

الكهانة في التوراة والقرآن دراسة مقارنة

د.عماد الدين عبد الله طه الشنطي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية- غزة- فلسطين

ملخص: الكهانة والكاهن من المصطلحات القديمة الحديثة التي أثرت في حياة الناس، ولما اهتمت التوراة في سفر اللاويين بهذا المصطلح وفصلت فيه، وجعلت لهم مراسم وطقوس وحقوق خاصة، كان لابد من الوقوف مع هذا المصطلح وتحليل ما يتعلق به في سفر اللاويين، ومقارنتها بما في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لإعطاء تصور حقيقي للقارئ وإرشاده إلى الصواب، وبيان الانحراف الكبير بهذا الخصوص في سفر اللاويين.

Foretelling in the Torah and the Qur'an: A Comparative Study

Abstract: Foretelling and foreteller is of the old modern terms that have influenced peoples' life. The Torah used and elaborated this term in Leviticus. It further made special ceremonies, rituals and rights for these people. The present paper offers an analysis of the term and its relevance in the book of Leviticus. Consequently, the term is compared in the light of relevant material in the Holy Qur'an and Sunnah. The study offers some insight and guidance in this respect. It also reveals the significant deviation of the book of Leviticus in this regard.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد

لقد اهتم الإسلام بقضايا العقيدة اهتماماً واضحاً، فصحح للناس مفاهيمهم المختلفة، وأرشدهم للحق، والكهانة واحدة من المفاهيم التي أحاطها الغموض والانحراف في المجتمعات الجاهلية الوثنية، وعلى صعيد أهل الكتاب.

فجاء الإسلام ووضح للناس الحقيقة التي يجب اعتقادها بعيداً عن كل الانحرافات السائدة آنذاك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إجابته على الكثير من التساؤلات التي تراود الكثير، ومن أهمها:

- من الكاهن؟ وما أشكال الكهانة؟
- ما هو موقف التوراة من الكهانة؟
- ما هو موقف الإسلام من الكهانة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان حقيقة الكهانة والكهان، وكشف الغموض الذي أحاط هؤلاء، مقارناً في ذلك ما ورد عنهم في التوراة(سفر اللاويين) وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ حتى يتسنى للقارئ معرفة الحق من الباطل، ومعرفة الدور الخطير الذي يقوم به الكهان في حياة الناس، وحرفهم عن الحق.

منهج البحث: اتبع الباحث المنهج التحليلي النقدي، مقارناً بين مفهوم الكهانة وما يتعلق به في اليهودية والإسلام، ولقد خص الباحث سفر اللاويين بالبحث في التوراة؛ لأنه السفر الوحيد الذي اختص بذكر الكهانة وتفاصيلها دون غيره من الأسفار.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في أربعة مباحث وعدة مطالب، كما يلي:

المبحث الأول: الكهانة في التوراة.

المبحث الثاني: مراسم وطقوس مسح الكاهن في التوراة.

المبحث الثالث: تعاليم وواجبات الكهنة في التوراة.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الكهانة والتكهن.

المبحث الأول: الكهانة في التوراة

المطلب الأول: تعريف الكاهن

هو من يخبر بِالْغَيْبِ، وقيل هو كل من يتعاطى علماً دَقِيقًا، وَمن الْعَرَب من كَانَ يُسمى المنجم والطبيب كَاهِنًا، وَعند الْيَهُود وَالنَّصَارَى من ارْتقى إِلَى دَرَجَة الكهنوت، وَعند أَصْحَاب الديانَات الْأُخْرَى من غير الْمُسلمين من سَاغَ لَهُ أَن يقدم الذَّبَائِح والقرابين، ويتولى الشعائر الدِّينِيَّة، ورجال الكهنوت هم رجال الدّين عِنْد الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَنَحْوهم، فالكاهن اسم فاعل من كهن، إذا قضى بالغيب وحدث به، وهو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة الغيب والجمع كهنة وكهان.[1]

_ وقيل: الكاهن هو خادم دين، أو هو الشخص المخصص لتقديم الذبائح. [2]

---

[1] انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر _ بيروت، ط3 1414ه، 509/13 ،والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، 803/2، ومحيط المحيط، بطرس البستاني،مكتبة لبنان- بيروت1987م، ص796.

[2] انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرين، دار الثقافة- القاهرة 1995م، ص791.

ـ وقيل: الكاهن هو الذي يكرس نفسه لخدمة الدين متوسطا بين الله والناس، وهو من يقوم بتقديم الذبائح لله على وجه الخصوص.[3]

ومما سبق يتضح أن الكاهن عند اليهود: هو الذي يخبر عن أمور غيبية، ويقوم بإقامة الشعائر والطقوس الدينية على اختلافها، وبدونه لا تصح الشعائر والطقوس من أفراد الشعب، وهو من سلالة هارون.

أما الكاهن عند علماء المسلمين فهو:الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، ويدخل في ذلك كل من يدعي معرفة الغيبيات فهو إما يدخل في اسم الكاهن، أو مشارك له في المعنى فيلحق به، ومن ذلك المنجم والرمال والعراف ونحوهم.[4]

المطلب الثاني: شروط اختيار الكاهن في سفر اللاويين:

1- **أن يكون من ذرية هارون**، ورد في ذلك:" تِلْكَ مَسْحَةُ هَارُونَ وَمَسْحَةُ بَنِيهِ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ يَوْمَ تَقْدِيمِهِمْ لِيَكْهَنُوا لِلرَّبِّ، الَّتِي أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ تُعْطَى لَهُمْ يَوْمَ مَسْحِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِهِم".[5]

وهذا يعني أن الله قد حصر الكهنوت في ذرية هارون دون سواهم من عشائر سبط لاوى، ودون سواهم من أسباط اليهود الأخرى، ومن ثم أصبح لا يصح لأحد ولو كان ملك اليهود ذاته أن يؤدي وظيفة الكاهن ما لم يكن من ذرية هارون.[6]

2- **أن يكون ذكراً**: حيث جاء في ذلك:"خُذْ هَارُونَ وَبَنِيهِ مَعَهُ، وَالثِّيَابَ وَدُهْنَ الْمَسْحَةِ ... وَاجْمَعْ كُلَّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ".[7]

وجاء في شأن بعض الذبائح التي كانوا يحسبونها في أعلى درجات القداسة" كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي هَارُونَ يَأْكُلُ مِنْهَا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ ".[8]

وعلى ذلك يحق لكل ذكر من ذرية هارون أن يكون كاهناً، وله أن يمارس وظيفة الكهنوت[9].

---

[3] انظر: المجتمع اليهودي، زكي شنودة، مكتبة الخانجي- القاهرة، ص 127.

[4] انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ، دار الفكر -لبنان،ط7 1399ه-1979م، ص303، 304.

[5] اللاويين36/7،35.

[6] المجتمع اليهودي، ص138.

[7] اللاويين 8:2.

[8] اللاويين 6 :18.

[9] المجتمع اليهودي ص 138.

3- **أن يكون سالماً من العيــوب**:" وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائلاً: «كَلِّمْ هَارُون قَائلاً: إذَا كَانَ رَجُلٌ مِنْ نَسْلِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ فِيهِ عَيْبٌ فَلاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ خُبْزَ إلهِهِ؛ لأَنَّ كُلَّ رَجُل فِيهِ عَيْــبٌ لاَ يَتَقَــدَّمْ. لاَ رَجُلٌ أَعْمَى وَلاَ أَعْرَجُ، وَلاَ أَفْطَسُ وَلاَ زَوَائِدِيٌّ[10]، وَلاَ رَجُلٌ فِيهِ كَسْرُ رِجْل أَوْ كَسْرُ يَدٍ، وَلاَ أَحْدَبُ[11] وَلاَ أَكْشَمُ [12] ، وَلاَ مَنْ فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ، وَلاَ أَجْرَبُ وَلاَ أَكْلَفُ [13]، وَلاَ مَرْضُــوضُ الْخُصَى. كُلُّ رَجُل فِيهِ عَيْبٌ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ الْكَاهِنِ لاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ وَقَائدَ الرَّبِّ. فِيهِ عَيْبٌ لاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ خُبْزَ إلهِهِ. خُبْزَ إلهِهِ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ وَمِنَ الْقُدْسِ يَأْكُلُ. لكِنْ إِلَــى الْحِجَــابِ لاَ يَأْتِي، وَإِلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَقْتَرِبُ؛ لأَنَّ فِيهِ عَيْبًا، لِئَلاَّ يُدَنِّسَ مَقْدِسِي؛ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُمْ». فَكَلَّمَ مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَكُلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ." [14].

ويتم اختبار الشروط السابقة من خلال فحص شيوخ الشعب لمن رشح للكهنوت، ومن يتجاوز الاختبار يلبس ثياباً بيضاء، ويعمل وليمة لرفاقه الكهنة، ومن لم يتجاوز يلبس ثيابــاً ســوداء تميزاً عن إخوانه، ويعتبر كاهناً، لكن لا يقوم بالأعمال المهمة؛ بل تسند إليه أعمال أقل شأناً مثل إعداد الحطب للمحرقات وغيرها... [15].

4- **ألا يكون الكاهن أو المرشح للكهنوت ابن زنى**:"لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنًى فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّــى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ." [16].

المطلب الثالث: ملابس الكهنوت كما في التوراة

يحدد سفر اللاويين للكنهة ملابس مخصوصة، على حسب رتبة الكهنوت، فلــرئيس الكهنــة (الكاهن الأعظم) ملابس خاصة، وللكهنة العاديين ملابس خاصة، وورد وصف ملابس رئــيس الكهنة عند الكلام عن مراسم طقوس مسح هارون للكهانة في الإصحاح الثــامن "فَقَــدَّمَ مُوسَــى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَغَسَّلَهُمْ بِمَاءٍ. وَجَعَلَ عَلَيْهِ الْقَمِيصَ وَنَطَّقَهُ بِالْمِنْطَقَةِ وَأَلْبَسَهُ الْجُبَّــةَ وَجَعَــلَ عَلَيْــهِ الرِّدَاءَ، وَنَطَّقَهُ بِزُنَّارِ الرِّدَاءِ وَشَدَّهُ بِهِ. وَوَضَعَ عَلَيْهِ الــصُّدْرَةَ وَجَعَــلَ فِــي الــصُّدْرَةِ الأُورِيــمَ

[10] الزوائدي هو:الذي أحد أعضائه شاذة فيه زيادة ككون أحد الكتفين أو الرجلين أكبر من الأخرى أو الزيــادة فــي الطول أو العرض أو الحجم.إنظر السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، وليم بيكر، ط مجمع الكنائس في الشرق الأدنى-بيروت 1973م، 154/2.

[11] الأحدب:هو خروج الظهر، ودخول البطن والصدر.انظر لسان العرب300/1.

[12] الأكشم: هو الواسع البطن،ويقال رجل أكشم أي امتلأ بطنه من الشبع.لسان العرب509/12.

[13] الأكلف هو: من بوجهه مثل الحبوب السوداء الصغيرة إلى الحمرة. السنن القويم 155/2.

[14] اللاويين 16:21 -24.

[15] انظر:تفسير سفر اللاويين، نجيب جرجس، ط مدارس الأحد، القاهرة،الطبعة الأولى 1998م،ص269.

[16] التثنية 23 :2.

وَالتُّمِّيمَ.وَوَضَعَ الْعِمَامَةَ عَلَى رَأْسِهِ،وَوَضَعَ عَلَى الْعِمَامَةِ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ صَفِيحَةَ الـذَّهَبِ،الإِكْلِيلَ الْمُقَدَّسَ،كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" [17].

وعليه فملابس رئيس الكهنة تتكون من:

1- القميص 2- الجبة 3-منطقة القميص 4- الرداء

5- منطقة الرداء (الزنار) 6- الصدرة (مايوضع على الصدر).

7- العمامة(وعليها صفيحة الذهب مكتوب عليها قدس للرب).

8- السراويل وهى وإن لم تذكر إلا أن لبسهم لها بعد الغسيل بديهي[18].

وغالباً ما تصنع الأثواب من الكتان [19].

وأما ملابس الكهنة العاديين فتتكون من أربع قطع، وهي:

1- السراويل 2- القميص 3- المنطقة (مايشد على الوسط) .

4- القلانس (وهي التي تقابل عمامة رئيس الكهنة) [20] .

وقد أشار السفر إلى هذا بقوله :" ثُمَّ قَدَّمَ مُوسَى بَنِي هَارُونَ وَأَلْبَسَهُمْ أَقْمِصَةً وَنَطَّقَهُمْ بِمَنَاطِقَ وَشَدَّ لَهُمْ قَلاَنِسَ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى [21].

المطلب الرابع: درجات الكهنوت عند اليهود في التوراة وتطورها

تنحصر درجات الكهنوت عند اليهود في ثلاث درجات:

بين ذلك سفر اللاويين في أوامره الموجهة للكهنة العاديين، وأوامره للكاهن الأعظم، مما يدل على أن لكل منهما درجة معينة[22].

1- الكاهن الأعظم: وهو رئيس الكهنة وأعلى درجات الكهنوت عند اليهود، ويشترط فيه أن يكون البكر من ذرية هارون، ويسمى الكاهن الأعظم، أو الكاهن الرأس، وهو الذي يشرف على خيمة الاجتماع والهيكل، ولا يسمح لغيره دخول قدس الأقداس، وذلك يوم الكفارة، ويظل رئيس الكهنة في وظيفته حتى الموت [23].

---

[17] اللاويين 8 :6-9.

[18] انظر :تفسير سفر اللاويين، ص 72.

[19] انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالقاهرة 1995م،ص 238.

[20] قاموس الكتاب المقدس ص 238.

[21] اللاويين 8: 13.

[22] اللاويين 21: 10 ،1.

[23] انظر المجتمع اليهودي ص 133، 132.

2- **الكهنة العاديون**: معاونين للكاهن الأعظم في تقديم القرابين والذبائح اليومية والأسبوعية، وقد تزايد عددهم وقسموا إلى أربع وعشرين فرقة، ويمارسون وظائفهم الدينية بالتتابع يوم السبت [24].

3- **اللاويين**: وهم كل نسل سبط لاوي عدا ذرية هارون، وهؤلاء كان يقوم على أكتـافهم كـل خدمة المعابد، **وينقسمون حسب اختصاصهم إلى أربعة أقسام** [25]:

- فالقسم الأول : القضاة والكتبة.
- والقسم الثاني: مساعدوا الكهنة في خدمة الهيكل.
- والقسم الثالث: الموسيقيون الذين يقومون بالترتيل والترنيم في الهيكل.
- والقسم الرابع : البوابون المكلفون بالحراسة .

وتبدأ خدمة اللاويين في الهيكل من سن الثلاثين كما يذكر سفر العدد [26]، ثـم خفـضت إلـى الخامسة والعشرين [27]، ثم إلى سن العشرين [28] .

واللاويون يتوسطون بين الكهنة وسائر الشعب، فلا يجوز للاويين تقديم القـرابين منفـردين ولا إحراق البخور، ولا رؤية الأشياء المقدسة إلا مغطاة، فوظيفتهم مساعدة الكهنة [29].

واستمرت الدرجات السابقة حتى فترة السبي البابلي، وبعد العودة من السبي استبدل اليهود الهيكل بـ(المجمع) ، ولم يكن بالمجمع كهنة، ولم تعد فيه طقوس كهنوتية كما كان في هيكل أورشليم [30].

- وفي ظل المجامع ظهرت درجات كهنوتية أخرى، مثل:

1- المرتل (الحزان) ويتمثل دوره في تلاوة التوراة في المعبد وإنـشاد القـصائد الدينيـة فـي الصلوات [31].

2- الواعظ (مَجيد) وكان يعمل بالتجول للوعظ بين الجماعات اليهودية، وقد زاد هذا اللقب شهرة في نحو القرن الثامن عشر بازدياد ظاهرة الوعظ بين اليهود [32].

---

[24] انظر: السابق ص 144.

[25] انظر:السابق ص 258.

[26] العدد 4: 3.

[27] العدد 8: 34.

[28] أخبار الأيام الثاني 31: 17.

[29] انظر: المجتمع اليهودي ص 156.

[30] انظر: المجتمع اليهودي ص 183.

[31] انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري،ط دار الشرق-القاهرة،ط الأولى 1999م 5/ 224.

[32] انظر:المرجع السابق 5/ 255.

ثم ظهرت كلمة " حاخام"، والتي تعنى الرجل الحكيم أو العاقل، للدلالة على القائد الديني للجماعة اليهودية، ويرجع استخدام هذا اللقب إلى عصر تأليف التلمود (أو جمع الشريعة الشفوية) [33].

ومع وجود هذا اللقب الكهنوتي الذي كان يحتاج إلى طقوس وصلوات خاصة للرسامة- وجدت ألقاباً – كانت تطلق على الحاخامات، مثل "الجاؤنيم [34] والأمورائيم [35] والكتبة [36] والربانيين [37] والأحبار [38] ".

مما سبق يتضح أن ما قرره سفر اللاويين بخصوص الكهنوت الهاروني اللاوي على أنه فريضة دهرية، كذب صريح، ومتناقض مع مراحل تاريخ اليهود الذي ظهر فيه هذا المصطلح وتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه، وإلا فكيف يسقطونه من حياتهم، ويستبدلونه بأنظمة أخرى؟

المبحث الثاني: مراسم وطقوس مسح الكاهن في التوراة

يذكر سفر اللاويين مجموعة طقوس كان يفعلها اليهود عند تنصيب كاهن من الكهنة، وقد تحدث الإصحاح الثامن من سفر اللاويين عن طقوس تنصيب الكاهن، وتتلخص فيما يلي:

1- اجتماع الشعب إلى باب خيمة الاجتماع : وقد صرح السفر بذلك:" وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: خُذْ هَارُونَ وَبَنِيهِ مَعَهُ، وَالثِّيَابَ وَدُهْنَ الْمَسْحَةِ وَثَوْرَ الْخَطِيَّةِ وَالْكَبْشَيْنِ وَسَلَّ الْفَطِيرِ، وَاجْمَعْ كُلَّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ» " [39].

---

[33] انظر: السابق 5/ 222.

[34] الجاؤنيم:بمعنى المعظم وهو لقب كان يطلق على الحاخامات رؤساء الحلقات الفقهية التلمودية في بابل وكانوا يعدون الرؤساء الروحيين ليهود العالم.انظر: موسوعة اليهود 5/ 155.

[35] أمورائيم: بمعنى الشراح أو المفسرين، وكان يطلق على الحاخامات التلموديين في فلسطين فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين. المرجع السابق 155/5.

[36] الكتبة: وهو لقب كان يطلق على الحاخامات اليهود الذين كانوا يقومون بتدريس وشرح الشريعة حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى عام 100ق.م، ويعتبر عزرا أول الكتبة حين وضع أساس الدراسات الحاخامية. المرجع السابق 151/5.

[37] الربانيين: ومعناها الحرفي " سيد " وهذا اللقب كان يطلق على حاخامات اليهود أيام ظهور النبي محمد r، المرجع السابق 224/5.

[38] الأحبار: وهو لقب كان يطلق على المتبحر في علوم اليهودية زمن النبي r ، ثم صار لكل عالم. انظر بطرس البستاني: محيط المحيط (قاموس عربي):بطرس البستاني، ط تيبوبرس، لبنان 1987م، ص 144.

[39] اللاويين 8: 1 ـ 3.

ويكتفي أحياناً بجمع الشيوخ ورؤساء الأسباط والوجوه في الشعب؛ لأنهم يمثلون الشعب، وينوبون عنه، وعند حضور كل الشعب فكانوا ينتظرون خارج الخيمة [40].

والسر في جمع الشعب: حتى يقف الشعب على رهبة الكهنوت المقدس وجلاله، فيحترموا كهنتهم ويحبوهم ويطيعوهم، ويحترموا كل ما يتعلق بعبادة الرب وبالخدمة المقدسة.[41].

2- تغسيل المرشح للكهانة بالماء:" فَقَدَّمَ مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَغَسَّلَهُمْ بِمَاءٍ. "[42] .

ويقول علماء اليهود إن هذا التغسيل كان يتم في حفرة أو حوض مملوء بالماء، يغوص فيه الكهنة لا في إناء ، ولم يكن هذا يفعل أمام أعين الشعب، بل من وراء حجاب [43].

3- إلباسهم الثياب الكهنوتية السابقة.

4- المسح بدهن المسحة: وكان المسح بدهن المسحة يشمل مسح الخيمة وما فيها ، ثم مسح الكاهن الذي يراد ترسيمه للكهانة، ورد في ذلك: " ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى دُهْنَ الْمَسْحَةِ وَمَسَحَ الْمَسْكَنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ وَقَدَّسَهُ، وَنَضَحَ مِنْهُ عَلَى الْمَذْبَحِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَمَسَحَ الْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ آنِيَتِهِ، وَالْمِرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا لِتَقْدِيسِهَا. وَصَبَّ مِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَمَسَحَهُ لِتَقْدِيسِهِ."[44]، وكان المسح لرئيس الكهنة بصب الدهن فوق رأسه، ومن هم دونه من الكهنة تمسح جباههم فقط[45].

5- تقديم ذبائح الخطية والمحرقة والملء: وكان ذلك يتم بطريقة معينة يكون البدء فيها بذبيحة الخطية(أي لتكفير الخطايا) ثم المحرقة(تحرق على المحرقة بالكامل) ثم كبش الملء(وهو الكامل لا عيب فيه)، هكذا على التعاقب، حيث يضع المراد ترسيمه للكهانة يده فوق رأس كل ذبيحة والمحرقة أن تحرقاً جميعاً، وأما في كبش الملء فكان يجوز لهم الأكل منه [46].

6- الرش من الدم على أذن الكاهن اليمنى، وعلى إبهام يده اليمنى، وإبهام رجله اليمنى، ثم رش الدم على المذبح بطريقة دائرية [47].

---

[40] وليم مارش: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم 39/2 بتصرف.

[41] نجيب جرجس: تفسير اللاويين (ص70) بتصرف.

[42] اللاويين 8:6 .

[43] السنن القويم 39/2، 40 بتصرف.

[44] اللاويين 8: 10- 12.

[45] السنن القويم 41/2 بتصرف.

[46] انظر اللاويين 8: 14- 33.

[47] انظر اللاويين 8: 23،24.

7- المكث سبعة أيام كاملة في خيمة الاجتماع : " وَمِنْ لَدُنْ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَـاعِ، لاَ تَخْرُجُـونَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِلَى يَوْمِ كَمَالِ أَيَّامِ مَلْئِكُمْ؛ لأَنَّهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ يَمْلأُ أَيْدِيَكُمْ." [48] .

وفي الأيام السبعة يتكرر تقديم الذبائح السابقة بنفس الطقوس، من حرق ورش الدم وغير ذلك [49].

هذه هي الطقوس التي كانت تتبع لتقليد الكاهن منصب الكهنوت، بعدها يستطيع الكاهن القيام بمهام عمله، وتفاصيل ذلك ذكرت في الإصحاح التاسع من السفر بدءاً من أول يوم بعد مضى أيام التطهير السبعة، حيث يقوم الكهنة بتقديم الذبائح عن أنفسهم وعن الشعب، ويباركون الشعب [50].

ويلاحظ أن عملية تعيين الكاهن تركز على بث روح التقديس للكهنة، وذلك من خلال تعقيد طقوس مسح الكاهن؛ ليكون الكاهن بعد ذلك مسموعاً مطاعاً مهاب الجانب .

المبحث الثالث: تعاليم وواجبات وحقوق الكهنة في التوراة

ذكرت الشريعة اليهودية في سفر اللاويين مجموعة من التعاليم الخاصة بالكاهن، بجانب واجباته الوظيفية وحقوقه، وهي كما يلي:

المطلب الأول: تعاليم خاصة بالكهنة في التوراة.

هناك مجموعة تعاليم كهنوتية يجب على الكاهن تنفيذها، وهي:

1- عدم شرب الخمر وأي مسكر عند دخول خيمة الاجتماع، يقول السفر(وَكَلَّمَ الـرَّبُّ هَـارُونَ قَائِلاً:خَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَـةِ الاجْتِمَـاعِ لِكَـيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ،وَلِتَعْلِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى)[51]، فالنهى عن شـرب الخمـر عند دخول المعبد فقط، أما خارجه فمسموح له أن يشرب الخمر، فإذا جاء إلى المعبد لـبس مسوح التقوى، وتظاهر بالطاعة.

2-عدم مشاركة الكاهن في تشييع ميت بأي شكل؛ سواء بالملامسة، أو التكفين، أو الدفن، أو حتى في حضور مأتمه، ولا يجتمع مع الميت في خيمة واحدة إلا إن كان الميـت مـن الأقـارب المذكورين في السفر:" وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:كَلِّمْ الْكَهَنَةَ بَنِي هَارُونَ وَقُلْ لَهُمْ: لاَ يَتَنَجَّسْ أَحَـدٌ

---

[48] اللاويين 8: 33.

[49] انظر السنن القويم 44/2.

[50] انظر الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين.

51 اللاويين 8: 8 ———11.

مِنْكُمْ لِمَيْتٍ فِي قَوْمِهِ، إِلاَّ لأَقْرِبَائِهِ الأَقْرَبِ إِلَيْهِ: أُمِّهِ وَأَبِيهِ وَابْنِهِ وَابْنَتِهِ وَأَخِيهِ وَأُخْتِهِ الْعَذْرَاءِ الْقَرِيبَةِ إِلَيْهِ الَّتِي لَمْ تَصِرْ لِرَجُل. لأَجْلِهَا يَتَنَجَّسُ. كَزَوْجٍ لاَ يَتَنَجَّسْ بِأَهْلِهِ لِتَدْنِيسِهِ." [52].

أما رئيس الكهنة لا يجوز له المشاركة في جنازة أي ميت، حتى وإن كان من أقرب الناس إليه سواء كان أب أو أم، وفي هذا يقول السفر:"وَالْكَاهِنُ الأَعْظَمُ بَيْنَ إِخْوَتِهِ الَّذِي صُبَّ عَلَى رَأْسِهِ دُهْنُ الْمَسْحَةِ، وَمُلِئَتْ يَدُهُ لِيَلْبَسَ الثِّيَابَ، لاَ يَكْشِفُ رَأْسَهُ، وَلاَ يَشُقُّ ثِيَابَهُ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى نَفْسٍ مَيْتَةٍ، وَلاَ يَتَنَجَّسُ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ" [53] .

3- يحرم على الكهنة إظهار السخط والجزع على الميت" لاَ يَجْعَلُوا قَرْعَةً فِي رُؤُوسِهِمْ، وَلاَ يَحْلِقُوا عَوَارِضَ لِحَاهُمْ، وَلاَ يَجْرَحُوا جِرَاحَةً فِي أَجْسَادِهِمْ. مُقَدَّسِينَ يَكُونُونَ لإِلهِهِمْ، وَلاَ يُدَنِّسُونَ اسْمَ إِلهِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَ وَقَائِدَ الرَّبِّ طَعَامَ إِلهِهِمْ، فَيَكُونُونَ قُدْسًا." [54] .

وقد نهى الكاهن عن هذه الفعال الوثنية؛ لأنه مثال للشعب،يعزيهم ويشدهم في ضيقهم[55]، بل إن شريعتهم تنهاهم عن ذلك حتى لا يحل الغضب عليهم وعلى الشعب، يقول السفر:"وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ وَأَلِعَازَارَ وَإِيثَامَارَ ابْنَيْهِ: «لاَ تَكْشِفُوا رُؤُوسَكُمْ وَلاَ تَشُقُّوا ثِيَابَكُمْ لِئَلاَّ تَمُوتُوا، وَيُسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فَيَبْكُونَ عَلَى الْحَرِيقِ الَّذِي أَحْرَقَهُ الرَّبُّ " [56].

4- يحرم على الكهنة أن يتزوجوا بزانية أو مطلقة أو أرملة، بل يجب الزواج من العذارى، هذا بحق عموم الكهنة كما ذكر السفر:" إِمْرَأَةً زَانِيَةً أَوْ مُدَنَّسَةً لاَ يَأْخُذُوا، وَلاَ يَأْخُذُوا امْرَأَةً مُطَلَّقَةً مِنْ زَوْجِهَا." [57]، وكذلك رؤساؤهم:" وَالْكَاهِنُ الأَعْظَمُ ... هذَا يَأْخُذُ امْرَأَةً عَذْرَاءَ. أَمَّا الأَرْمَلَةُ وَالْمُطَلَّقَةُ وَالْمُدَنَّسَةُ وَالزَّانِيَةُ فَمِنْ هؤُلاَءِ لاَ يَأْخُذُ، بَلْ يَتَّخِذُ عَذْرَاءَ مِنْ قَوْمِهِ امْرَأَةً. وَلاَ يُدَنِّسُ زَرْعَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ؛ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُ [58] .

وبالقراءة في كتبهم نجد التناقض مع ما سبق؛ فبعض كهنتهم كانوا يضاجعون النساء اللاتي يأتين إلى المعبد للصلاة، فيذكر سفر صموئيل الأول أن أحد الكهنة الكبار في إسرائيل كان أبناؤه وهما كاهنان أيضاً:" وَشَاخَ عَالِي جِدًّا، وَسَمِعَ بِكُلِّ مَا عَمِلَهُ بَنُوهُ بِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا

---

52 اللاويين 21: 1،4.

53 اللاويين 21: 10، 11.

54 اللاويين 21: 6،5.

55 نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص 264) بتصرف

56 اللاويين 10:6

57 اللاويين 21: 7.

58 اللاويين 21: 10- 15.

يُضَاجِعُونَ النِّسَاءَ الْمُجْتَمِعَاتِ فِي بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ الأُمُورِ؟ لأَنِّي أَسْمَعُ بِأُمُورِكُمُ الْخَبِيثَةِ مِنْ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ،لاَ يَا بَنِيَّ؛لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا الْخَبَرُ الَّذِي أَسْمَعُ " [59].

5- يمنع عموم الكهنة من دخول قدس الأقداس، إلا الكاهن الأعظم فإنه كان له أن يدخل مرة واحدة في يوم الكفارة من كل عام،يقول السفر:" [2]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «كَلِّمْ هَارُونَ أَخَاكَ أَنْ لاَ يَدْخُلَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى الْقُدْسِ دَاخِلَ الْحِجَابِ أَمَامَ الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى التَّابُوتِ لِئَلاَّ يَمُوتَ." [60]، والسر في هذا التشديد والتحذير من دخول الكهنة إلى قدس الأقداس؛ يجيب على ذلك نخبة من العلماء المتبحرين في دراسة الكتاب المقدس قائلين " لأن قدس الأقداس هو مسكن الله الأرضي أو هو موضع ظهور مجده لشعبه" [61].

المطلب الثاني: واجبات الكهنة كما في التوراة

تفرض الشريعة اليهودية – في سفر اللاويين – على الكهنة عدداً من الواجبات، يجب عليهم القيام بها:

1- **تقديم القرابين والذبائح:** سواء كانت اليومية كمحرقة الصباح والمساء، أو الأسبوعية كمحرقة السبت، أو الشهرية، أو السنوية كمحرقات يوم الكفارة وغيرها من الاحتفالات الدينية التي تقرب فيها القرابين والذبائح.

وسفر اللاويين من أكثر الأسفار تفصيلاً لهذا الواجب الكهنوتي، إذ يوضح للكاهن طريقة تقديم القرابين وكيفية تقطيعها والطقوس اللازمة لذلك [62]، والأنواع التي تصلح لعمل القرابين، بطريقة صعبة معقدة غاية التعقيد.

حتى أن "ول ديوارنت" يقول:"ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة" [63]، وهذا يدل بوضوح على التعقيد في اليهودية والتشدد الذي شددوا فيه على أنفسهم، وفي المقابل نجد السهولة و اليسر في الإسلام في أداء العبادات والشعائر وبشكل منفرد، دون كل التعقيدات في اليهودية، وهذا يدل على ربانية هذا الدين الذي كلف الله I به عباده.

---

59 صموئيل الأول (2: 22-24).

60 اللاويين 16: 2.

61 قاموس الكتاب المقدس (ص 718) مادة قدس بتصرف.

62 أنظر مثلا :اللاويين 6: 8 – 13.

63 قصة الحضارة، ول ديورانت، ط جامعة الدول العربية، القاهرة 1968م، ترجمة محمد بران 346/2.

2- **إيقاد النار المقدسة**: كذلك من واجبات الكهنة إيقاد النار على المذبح، إيقاداً متواصلاً، وقد جاء في سفر اللاويين بخصوص هذا الواجب الكهنوتي: " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: أَوْصِ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلاً: هذِهِ شَرِيعَةُ الْمُحْرَقَةِ: هِيَ الْمُحْرَقَةُ تَكُونُ عَلَى الْمَوْقِدَةِ فَوْقَ الْمَذْبَحِ كُلَّ اللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَنَارُ الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ. ثُمَّ يَلْبَسُ الْكَاهِنُ ثَوْبَهُ مِنْ كَتَّانٍ، وَيَلْبَسُ سَرَاوِيلَ مِنْ كَتَّانٍ عَلَى جَسَدِهِ، وَيَرْفَعُ الرَّمَادَ الَّذِي صَيَّرَتِ النَّارُ الْمُحْرَقَةَ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَيَضَعُهُ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ. ثُمَّ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ وَيَلْبَسُ ثِيَابًا أُخْرَى، وَيُخْرِجُ الرَّمَادَ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ. وَالنَّارُ عَلَى الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ. لاَ تَطْفَأُ. وَيُشْعِلُ عَلَيْهَا الْكَاهِنُ حَطَبًا كُلَّ صَبَاحٍ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهَا الْمُحْرَقَةَ، وَيُوقِدُ عَلَيْهَا شَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ. نَارٌ دَائِمَةٌ تَتَّقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. لاَ تَطْفَأُ. "[64]

وكان يتبع القيام بمهمة إيقاد النار مهمة أخرى هي التبخير، وقد حددت الشريعة اليهودية طريقة تركيب البخور وأوصافه في سفر الخروج [65]، وعلى الكاهن وهو يؤدي هذا الواجب أن يحاذر من أن يقدم بخوراً غير الذي نصت عليه الشريعة، وإلا عوقب بالموت، ويحكى سفر اللاويين قصة مخالفة الكاهنين (ناداب وابيهو) ابني هارون فيقول:" وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ" [66].

ولما كان مثل هذا الواجب لا يجوز لأحد القيام به غير الكهنة – كما أفهموا الشعب- فإن تاريخ اليهود في أسفارهم يحكى أن أحد ملوك اليهود، ويسمى (عزيا) راودته نفسه ذات يوم أن يحطم تلك الأساطير الكهنوتية التي تجعل إيقاد النار والبخور على المذبح حكراً على الكهنة، فتقدم وأوقد بخوراً على المذبح في الهيكل، ودخل وراءه نحو ثمانين من الكهنة ليمنعوه، وقالوا له ليس لك أن توقد للرب، بل للكهنة بنو هارون المقدسين للإيقاد، ولكنه غضب عليهم فأصيب بالبرص في جبهته، ولا زال البرص به حتى مات: "وَكَانَ لِعُزِّيَّا جَيْشٌ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ يَخْرُجُونَ لِلْحَرْبِ أَحْزَابًا حَسَبَ عَدَدِ إِحْصَائِهِمْ عَنْ يَدِ يَعِيئِيلَ الْكَاتِبِ وَمَعَسِيَا الْعَرِيفِ تَحْتَ يَدِ حَنَنْيَّا وَاحِدٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَلِكِ. كُلُّ عَدَدِ رُؤُوسِ الآبَاءِ مِنْ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ أَلْفَانِ وَسِتُّ مِئَةٍ. وَتَحْتَ يَدِهِمْ جَيْشُ جُنُودٍ ثَلاَثُ مِئَةِ أَلْفٍ وَسَبْعَةُ آلاَفٍ وَخَمْسُ مِئَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ لِمُسَاعَدَةِ الْمَلِكِ عَلَى الْعَدُوِّ. وَهَيَّأَ لَهُمْ عُزِّيَّا، لِكُلِّ الْجَيْشِ، أَتْرَاسًا وَرِمَاحًا وَخُوَذًا وَدُرُوعًا وَقِسِيًّا وَحِجَارَةَ مَقَالِيعَ. وَعَمِلَ فِي أُورُشَلِيمَ مَنْجَنِيقَاتٍ اخْتِرَاعَ مُخْتَرِعِينَ لِتَكُونَ عَلَى الأَبْرَاجِ وَعَلَى الزَّوَايَا، لِتُرْمَى بِهَا السِّهَامُ وَالْحِجَارَةُ

64 اللاويين 6: 8 – 13.

65 الخروج 30 : 1 – 10 .

66 اللاويين 10 : 1 ، 2.

الْعَظِيمَةُ. وَامْتَدَّ اسْمُهُ إِلَى بَعِيدٍ إِذْ عَجِبَتْ مُسَاعَدَتُهُ حَتَّى تَشَدَّدَ. وَلَمَّا تَشَدَّدَ ارْتَفَعَ قَلْبُهُ إِلَى الْهَلاَكِ وَخَانَ الرَّبَّ إِلهَهُ، وَدَخَلَ هَيْكَلَ الرَّبِّ لِيُوقِدَ عَلَى مَذْبَحِ الْبَخُورِ. وَدَخَلَ وَرَاءَهُ عَزَرْيَا الْكَاهِنُ وَمَعَهُ ثَمَانُونَ مِنْ كَهَنَةِ الرَّبِّ بَنِي الْبَأْسِ. وَقَاوَمُوا عُزِّيَّا الْمَلِكَ وَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ لَكَ يَا عُزِّيَّا أَنْ تُوقِدَ لِلرَّبِّ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ بَنِي هَارُونَ الْمُقَدَّسِينَ لِلإِيقَادِ. اُخْرُجْ مِنَ الْمَقْدِسِ لأَنَّكَ خُنْتَ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ كَرَامَةٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الإِلهِ». فَحَنِقَ عُزِّيَّا. وَكَانَ فِي يَدِهِ مِجْمَرَةٌ لِلإِيقَادِ. وَعِنْدَ حَنَقِهِ عَلَى الْكَهَنَةِ خَرَجَ بَرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ أَمَامَ الْكَهَنَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِجَانِبِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. فَالْتَفَتَ نَحْوَهُ عَزَرْيَاهُو الْكَاهِنُ الرَّأْسُ وَكُلُّ الْكَهَنَةِ وَإِذَا هُوَ أَبْرَصُ فِي جَبْهَتِهِ، فَطَرَدُوهُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ بَادَرَ إِلَى الْخُرُوجِ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَهُ. وَكَانَ عُزِّيَّا الْمَلِكُ أَبْرَصَ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ[67].

وهذا يدل على الخرافة والشعوذة التي تقوم عليها مهام الكهنوت، حتى لا يفكر أحد في ذلك خشية أن تلحقه اللعنة إذا حاول الاجتراء على الكهنة كما لحقت بهذا الملك.

3- **القيام بعملية التطهير**: وكان هذا من أخص واجبات الكهنة، وكان يشمل تطهير البيوت [68]، وتطهير المذنبين من آثامهم، وتطهير المرضى [69].

والهدف من إسناد هذه المهمة إلى الكهنة أن يرسخ في نفوس الشعب أن الكهنة هم المصدر الأساسي للطهارة في كل شيء، وبذلك تزداد قداستهم وسلطانهم على الناس.

وهذا ما نص عليه سفر اللاويين كثيراً، من نحو:" كلم الكهنة بني هارون وقل لهم... مقدسين يكونون لإلههم" [70]؛ أي: طاهرين.

4- **تفسير الشريعة للشعب**: وهذا الواجب الكهنوتي يتضمن قيام الكاهن بتوضيح الأحكام الواردة في شريعتهم، وتفسير مقاصدها، ويسلكون في ذلك طرق ملتوية من التفسير، حيث يجعلون للنص ظاهراً وباطناً، مما يجعل محاولة تفسير التوراة أو التلمود مهمة صعبة لغير الكهنة، ولذلك يقول ديوارنت:" ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يفسر الطقوس والأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ " [71].

5- **جمع الصدقات والنذور وجباية الأعشار**: نص سفر اللاويين على تفويض الكاهن قبض وتقدير النذور والأعشار، وتقويمها في حالة الرغبة في فك المنذور إذا لم يكن نقوداً،ففيه:"وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا عَنْ تَقْوِيمِكَ يُوقِفُهُ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ عَلَى قَدْرِ مَا تَنَالُ يَدُ

---

67 انظر سفر أخبار الأيام الثاني 26: 11 – 21 .

68 انظر اللاويين 14: 25 – 53.

69 انظر اللاويين14 :1 _ 20.

70 اللاويين 21 : 1- 6 .

71 قصة الحضارة: 2/ 346.

النَّاذِرِ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ"[72] وفي تقويم البهيمة "فَيُقَوِّمُهَا الْكَاهِنُ جَيِّدَةً أَمْ رَدِيئَةً. فَحَسَبَ تَقْوِيمِكَ يَا كَاهِنُ هكَذَا يَكُونُ "[73]." «وَكُلُّ عُشْرِ الأَرْضِ مِنْ حُبُوبِ الأَرْضِ وَأَثْمَارِ الشَّجَرِ فَهُوَ لِلرَّبِّ. قُدْسٌ لِلرَّبِّ "[74]." وَأَمَّا كُلُّ عُشْرِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فَكُلُّ مَا يَعْبُرُ تَحْتَ الْعَصَا يَكُونُ الْعَاشِرُ قُدْسًا لِلرَّبِّ "[75] .

كان اللاويون يجمعون العشور تحت إشراف أحد الكهنة، حيث كانت تودع في المخازن لحفظها وتنظيم صرفها، ومع ذلك فقد كانت الحالة الروحية تسوء جداً لدرجة أن الكهنة وأحياناً رؤساؤهم كانوا يحاولون أن يغتصبوا العشور كلها لأنفسهم متعدين بذلك شريعة الرب وأوامره.[76] فنمت بذلك ثرواتهم، وجمعوا أموالاً ضخمة، وعدت ثرواتهم مقدسة، وأصبحوا في كثير من الأحوال أقوى من الملوك أنفسهم [77] .

6- **القضاء بين الشعب في خصوماته**: ورد في سفر اللاويين مجموعة من الجرائم؛ كالخيانة والغصب وإنكار الأمانة... ثم يأمر بالإتيان إلى الكاهن للتقاضي، وتكفير هذا الذنب فيقول السفر"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا، أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ،... فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَهُ مُذْنِبًا بِهِ». [78]

ففتح ذلك باباً واسعاً للكهنة لكسب الأموال عن طريق الرشوة، حتى وصف إرميا حال اليهود بما فيهم الكهنة، فقال:"يَقُولُ الرَّبُّ؛ لأَنَّهُمْ مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، كُلُّ وَاحِدٍ مُولَعٌ بِالرِّبْحِ. وَمِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ. "[79] .ويقول إشعيا واصفاً أورشليم في أيامه مخاطباً لها :"رُؤَسَاؤُكِ مُتَمَرِّدُونَ وَلُغَفَاءُ اللُّصُوصِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُحِبُّ الرَّشْوَةَ وَيَتْبَعُ الْعَطَايَا. لاَ يَقْضُونَ لِلْيَتِيمِ، وَدَعْوَى الأَرْمَلَةِ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِمْ."[80] ، وما ورد بحق الأنبياء في النص فهو كذب؛ لأن الأنبياء منزهون عن الكذب وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها من صفات النقص.

---

72 اللاويين 27: 8.

73 اللاويين 27: 12.

74 اللاويين 27: 30.

75 اللاويين 27: 32.

76 انظر: تفسير سفر اللاويين ص 394.

77 انظر: قصة الحضارة 2/ 346.

78 انظر: اللاويين 6: 1 -7.

79 إرميا: 6: 3.

80 إشعيا 1: 23.

هذه هي أهم الواجبات التي يزعم اليهود أن الكهنة كلفوا بها، فوضعوا أنفسهم بين الله وبين الشعب، وجعلوا هذه الواجبات تشريف لهم وليس تكليفاً.

وقد فهموا ذلك من سفر العدد: وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَيْتُ أَبِيكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ الْمَقْدِسِ، وَأَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ كَهَنُوتِكُمْ. [2]وَأَيْضًا إِخْوَتُكَ سِبْطُ لاَوِي، سِبْطُ أَبِيكَ، قَرِّبْهُمْ مَعَكَ فَيَقْتَرِنُوا بِكَ وَيُوازِرُوكَ، وَأَنْتَ وَبَنُوكَ قُدَّامَ خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ، [3]فَيَحْفَظُونَ حِرَاسَتَكَ وَحِرَاسَةَ الْخَيْمَةِ كُلِّهَا. ولكِنْ إِلَى أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ وَإِلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَقْتَرِبُونَ ...وَأَمَّا أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ فَتَحْفَظُونَ كَهَنُوتَكُمْ مَعَ مَا لِلْمَذْبَحِ وَمَا هُوَ دَاخِلَ الْحِجَابِ، وَتَخْدِمُونَ خِدْمَةً. عَطِيَّةً أَعْطَيْتُ كَهَنُوتَكُمْ. وَالأَجْنَبِيُّ الَّذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ»." [81]

وقابل هذه الواجبات حقوق للكهنة نصت عليها أحكام التوراة لديهم.

المطلب الثالث: " حقوق الكهنة كما في سفر اللاويين" .

ذكر سفر اللاويين مجموعة من الحقوق والامتيازات المعنوية والمادية للكهنة:

أ. الحقوق المعنوية:

قد يفهم البعض من سفر اللاويين المعنى البسيط من الاحترام والتقدير للعالم، ولكن في الحقيقة ما اشتمل عليه سفر اللاويين من حديث عن الكاهن وقدرته على الصفح وتكفير الذنوب ومحو الخطايا، وعلاج الأمراض، وقيامه بدور الوسيط بين الله وبين الشعب،لا يقف عند حد التقدير والاحترام، بل فيه تركيز على غرس قداسة الأحبار في نفوس اليهود منذ البداية، وهذا ما نص عليه سفر اللاويين صراحة، فكان الخطاب للشعب: " فَتَحْسِبُهُ مُقَدَّسًا؛ لأَنَّهُ يُقَرِّبُ خُبْزَ إِلهِكَ. مُقَدَّسًا يَكُونُ عِنْدَكَ؛ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُكُمْ."[82].

يقول العلامة ابن القيم- رحمه الله- :

" ... والحبر من أحبارهم ترى منه العجب من الناموس الذي يعمده، والسنن التي يحدثها، ولا يعترض عليه أحد – أي من اليهود – بل تراهم مسلمين له ، وهو يحتلب درهم درهمهم، وإذا بلغه عن يهودي طعن عليه، صبر عليه حتى يرى منه جلوساً على قارعة الطريق يوم السبت، أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبناً أو خمراً، أو خرج عن بعض أحكام المشنا والجمارا فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضه ونسبه إلى الخروج عن اليهودية فيضيق به البلد على هذه الحال، فلا

---

81 العدد 18: 1-7.

82 اللاويين 21: 8.

يسعه إلا أن يصلح مابينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال، فيقول لليهود: إن فلاناً قد أبصر رشده ورجع للحق، وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودي... "[83].

ويقول صموئيل أتينجر[84] عن اليهود وتقديسهم للكهنة حتى بعد موتهم:

" وكان اليهود يحرصون دائماً على الإعلان عن مدى تقوى الحاخام(الكاهن) وقدراته على الإتيان بالمعجزات والتكهن بالمستقبل" [85].

وهناك نصوص كثيرة في التلمود أكدت على تقديس الأحبار، ورفعهم لدرجات الألوهية من ذلك :

1- "من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية" [86].

2- " إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد رفع يوماً الاختلاف بين الباري- تعالى- وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور" [87].

3- " إن أقوال الحاخامات المتناقضة منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبس المصير"[88].

4- " حصلت مشاحنة يوماً (ما) بين حاخامين، أحدهما يدعى الرابي (شايا)، والثاني (باركبارة) وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال: كيت وكيت مما ادعوه، ولم يفصل في الخلاف الواقع بينهما، فجاء الحاخام (روسكي) وقال: إن الحاخامين المذكورين قالا الحق؛ لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ " [89].

---

83 هداية الحياري في أجوبة اليهود و النصارى: ابن القيم، بتصرف يسير، ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة 1990، ص 170، 171.

84 صموئيل أتينجر: مؤرخ إسرائيلي بارز ولد عام 1919 في مدينة كييف في روسيا، ويعمل منذ عام 1965 أستاذ للتاريخ اليهودي الحديث بالجامعة العبرية بالقدس. انظر كتاب: اليهود في البلدان الإسلامية _ سلسلة عالم المعرفة_ عدد مايو 1995م، ص 447.

85 انظر : المرجع السابق ص 306.

86 من التلمود _ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ص22،21.

87 الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. روهلنج، ط مطبعة المعارف،مصر1899، ترجمة د. يوسف نصر الله: ص 52

88 المرجع السابق ص 52.

89المرجع السابق ص 52، 53.

5- " اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وفضلاً عن ذلك يلزمك اعتبار أقـوال الحاخامات كالشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام:إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك: إن يدك اليمنى هي اليمنى، ويدك اليسرى هي اليسرى "[90].

إنها قمة الافتراء على الله U، فالله في زعمهم يعترف بخطئه، ويقر بعصمة الحاخامات؟ ومن حق الحاخامات أن يعارضوه، أما هم فلا مجال لمعارضتهم، ولو قالوا إن اليمين هو الشمال والعكس؟

ومما يلاحظ أن تأكيد التلمود على ما جاء في سفر اللاويين من تعظيم الكهنة وتقديسهم يدلل وبكل وضوح أن من كتب التلمود هو من كتب سفر اللاويين مع أن المفترض تقدم زمن كتابة سفر اللاويين على زمن كتابة التلمود.

ولا مراء في أن النتيجة الحتمية لتلك الطاعة العمياء والغلواء في التقديس هي اجتراء الكهنة على تحريف الشريعة وتبديلها، مادام الاعتقاد السائد بأن جميع أقوالهم من عند الله، واعتقادهم هذا في الكهنة توافق مع أهوائهم و مصالحهم الخاصة، وليس من قبيل السمع والطاعة لأمر الله تعالى.

ب. الحقوق المادية :

وزعت الحقوق والأملاك على أسباط بني إسرائيل، ولم يكن من حق سبط اللاويين أن يمتلك شيئاً كغيره من الأسباط، وفي مقابل هذا كانوا يعفون من الضرائب، بجانب مجموعة من الحقوق التي أخذت شكلاً طقسياً، وهي تتمثل فيما يلي:

أ.**النذور** : كان كل نذر يقدمه بنو إسرائيل هو من حق الكهنة اللاويين سواء كان هذا النذر إنساناً (يفدى)، أو حيواناً، أو حقولاً أو غير ذلك، وقد فصل ذلك الإصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين، وجعل النذر واحداً من حقوق الكهنة، فيقول:" إِنَّ كُلَّ مُحَرَّمٍ هُوَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لِلرَّبِّ"[91]، وهذا يعني أنه نصيب الكهنة [92].

ويؤكد ذلك ما جاء في سفر العدد خطاباً لهارون وبنيه" كُلُّ مُحَرَّمٍ فِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ لَكَ."[93].

90 الكنز المرصود ص 52.

91 اللاويين 27 : 28.

92السنن القويم 2/ 213.

93 العدد 18: 14.

ب.الأبكار من كل شئ: سواء أبكار الناس، أو أبكار الحيوانات، أو أبكار الثمار والزروع، جاء في سفر اللاويين بخصوص أبكار الحيوانات "«لكِنَّ الْبِكْرَ الَّذِي يُفْرَزُ بِكْرًا لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ فَلاَ يُقَدِّسُهُ أَحَدٌ. ثَوْرًا كَانَ أَوْ شَاةً فَهُوَ لِلرَّبِّ"[94]،وبشأن أبكار الثمار والزروع "كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا،تَأْتُونَ بِحُزْمَةِ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ"[95].

وفي سفر العدد:"كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ(أي الأبكار) مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ." [96].

ج .ما تبقي من القرابين المقدمة للمعبد: فإذا كان القربان دموياً لا يستهلك منه إلا الدم والشحم، واللحم المتبقي للكاهن، فمثلاً ذبيحتي الخطيئة والإثم: "ذَبِيحَةُ الإِثْمِ كَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ، لَهُمَا شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ. الْكَاهِنُ الَّذِي يُكَفِّرُ بِهَا تَكُونُ لَهُ " [97].

وفي ذبائح السلامة (الشكر) فللكاهن صدر الذبيحة وساقها اليمنى: " فَيُوقِدُ الْكَاهِنُ الشَّحْمَ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَيَكُونُ الصَّدْرُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ. وَالسَّاقُ الْيُمْنَى تُعْطُونَهَا رَفِيعَةً لِلْكَاهِنِ مِنْ ذَبَائِحِ سَلاَمَتِكُمْ. اَلَّذِي يُقَرِّبُ دَمَ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ وَالشَّحْمَ مِنْ بَنِي هَارُونَ، تَكُونُ لَهُ السَّاقُ الْيُمْنَى نَصِيبًا" [98]. حتى في ذبيحة المحرقة التي تحرق بكل أجزائها لم يشأ الكهنة أن يحرموا أنفسهم منها بل كانوا يأخذون جلود المحرقات " وَالْكَاهِنُ الَّذِي يُقَرِّبُ مُحْرَقَةَ إِنْسَانٍ فَجِلْدُ الْمُحْرَقَةِ الَّتِي يُقَرِّبُهَا يَكُونُ لَهُ "[99].

وإن كان القربان نباتياً من دقيق وزيت أو فطائر مخبوزة، يستهلك في الحرق شيء رمزي بمقدار ملء القبضة يسمونه التذكار، والباقي للكهنة:" «وَهذِهِ شَرِيعَةُ التَّقْدِمَةِ: يُقَدِّمُهَا بَنُو هَارُونَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى قُدَّامِ الْمَذْبَحِ، وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِقَبْضَتِهِ بَعْضَ دَقِيقِ التَّقْدِمَةِ وَزَيْتِهَا وَكُلَّ اللُّبَانِ الَّذِي عَلَى التَّقْدِمَةِ، وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ رَائِحَةَ سَرُورٍ تَذْكَارَهَا لِلرَّبِّ. وَالْبَاقِي مِنْهَا يَأْكُلُهُ هَارُونُ وَبَنُوهُ. فَطِيرًا يُؤْكَلُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. فِي دَارِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يَأْكُلُونَهُ. لاَ يُخْبَزُ خَمِيرًا. قَدْ جَعَلْتُهُ نَصِيبَهُمْ مِنْ

94 اللاويين 27 / 26.

95 اللاويين 23: 10.

96العدد 18: 15.

97 اللاويين 7: 7.

98 اللاويين 7 : 31 ، 33.

99 اللاويين 7 : 8.

وَقَائِدِي. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ كَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ وَذَبِيحَةِ الإِثْمِ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي هَارُونَ يَأْكُلُ مِنْهَا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَتَقَدَّسُ [100] .

بل جعلوا مائدة السبت من حق الكهنة:" «وَتَأْخُذُ دَقِيقًا وَتَخْبِزُهُ اثْنَيْ عَشَرَ قُرْصًا. عُشْرَيْنِ يَكُونُ الْقُرْصُ الْوَاحِدُ. وَتَجْعَلُهَا صَفَّيْنِ، كُلَّ صَفٍّ سِتَّةً عَلَى الْمَائِدَةِ الطَّاهِرَةِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَتَجْعَلُ عَلَى كُلِّ صَفٍّ لُبَانًا نَقِيًّا فَيَكُونُ لِلْخُبْزِ تَذْكَارًا وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي كُلِّ يَوْمِ سَبْتٍ يُرَتِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِمًا، مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيثَاقًا دَهْرِيًّا. فَيَكُونُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ، فَيَأْكُلُونَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ؛ لأَنَّهُ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لَهُ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً».[101] .

د.الأعشار: أعطى السفر الكهنة الحق بأن يأخذوا العُشر من كل نتاج بني إسرائيل قدس للرب " وَكُلُّ عُشْرِ الأَرْضِ مِنْ حُبُوبِ الأَرْضِ وَأَثْمَارِ الشَّجَرِ فَهُوَ لِلرَّبِّ. قُدْسٌ لِلرَّبِّ." [102]، وكذلك عشر البقر والغنم "وَأَمَّا كُلُّ عُشْرِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فَكُلُّ مَا يَعْبُرُ تَحْتَ الْعَصَا يَكُونُ الْعَاشِرُ قُدْسًا لِلرَّبِّ. " [103]، فالعشر معاش الكهنة؛ لأنهم مفروزين لخدمة الرب وليس لهم ميراث في بني إسرائيل [104] .

مما سبق يتبين ضخامة الحقوق المادية المقررة للكهنة، التي أكلوا فيها أموال الناس بالباطل، فانحرفوا عن الأخلاق والصفات الكريمة وضربوا أسوأ الأمثال للشعب متخذين من مهمتهم سبيلاً إلى إشباع جشعهم، وإرضاء شهواتهم ونزواتهم، وأصبح لهم ثروات عظيمة من وراء كل الامتيازات المعطاة لهم [105].

ولكن بعد زوال الكهنوت اللاوي لم تبق هذه الامتيازات المادية كما هي، بل تغير كثير منها حسب نظام الحاخامات الجديد، فلم تعد الكهانة تقتصر على سبط لاوي، بل أصبحت حقاً مباحاً لكل يهودي، ووجد فقراء اليهود طريقهم إلى الكهنوت، وسرعان ما ارتقوا في مناصبه، وقد كان معظمهم يكسبون قوتهم بالعمل في الصناعات المختلفة،... وكان الأثرياء من اليهود يجعلونهم في بعض الأحيان شركاء غير عاملين في مشروعاتهم المالية أو التجارية أو يؤونهم في بيوتهم، أو يزوجونهم من بناتهم، ليوفروا عليهم عناء الكد لكسب قوتهم" [106] .

100اللاويين6 : 14 – 18 .

101اللاويين 24 : 5 – 9 .

102اللاويين 27 : 30 .

103اللاويين 27 : 32.

104 انظر : تفسير سفر اللاويين ص 393

105انظر: المجتمع اليهودي ص 152 ، 153.

106 إسرائيل والتلمود: د.إبراهيم خليل أحمد، ط مكتبة الوعي العربي – القاهرة 1967م، ص21 بتصرف.

ولقد اعتمد الكهنة(الحاخامات) في إظهار قداستهم على المفهوم الحلولي (أي حلول الإله في الأشخاص) مما ساعد في دعم مركز الحاخامات، وإعطائهم هذه القداسة، فهم مبشروا هذه الشريعة، والشريعة الشفوية أهم من الشريعة المكتوبة، فأصبح الحاخامات أهم من التوراة نفسها، إذ لهم صلاحية تغييرها [107] .

ولم يختلف النصارى كثيراً عن اليهود في تقديسهم وتعظيمهم لأحبارهم ورهبانهم، فهم يصرحون بأنهم وكلاء الله[108]، ويزعمون أن لهم سلطاناً واسعاً، فما يحلونه هو الحلال وما يحرمونه فهو الحرام، و يسمون ذلك سلطان الحل والربط، ويدخل فيه مغفرة الذنوب [109].
بل وربما أوجبوا لهم السجود، على اعتبار أن السجود للأسقف من قبيل الاحترام؛ لأنه وكيل الله، فهم يسجدون لله في شخصه" [110] ، فأوجه الشبه بين اليهودية والمسيحية قريبة جداً، ففي اليهودية يحل الله في الكهنة والأحبار، وفي المسيحية يحل في الرهبان والأساقفة، بل إنهم في سجودهم ليسبحون بحمد الكهنة قائلين: " أقسم الرب ولن يندم أنك أنت هو الكاهن إلى الأبد – ثم يقولون – يا ملك السلام أعطنا السلام " [111] .

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الكهانة والتكهن

الإسلام دين واقعي، لا يقبل الشعوذة والدجل، ويرفض الخرافة، ويجعل لكل تابع من أتباعه حظاً موفوراً من الكرامة، وبقدر الغرف من النبع العذب يكثر الخير ويعم الرخاء.

المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم للأحبار والكهنة

عالج الإسلام قضية الكهانة والتكهن من بدايته برفق، لما للكهنة والأحبار من مكانة عند اليهود، فوجه الخطاب للأحبار يحثهم على قيادة قومهم إلى الخير، فيقول **U**:**(**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**)**[المائدة:63].

وفي ذلك إشعار لطيف وتذكير للربانين والأحبار بمهمتهم العظيمة، ورياستهم على قومهم، التي تستوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي يجب على هذه الفئة الرفيعة عدم الانجرار وراء الشهوات كعامة الناس، بل يجب أن يكونوا قدوات للناس يصححوا لهم مسارهم ولا يتخلوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

107انظر:موسوعة اليهود واليهودية 5/ 222.

108 انظر: الكهنوت: البابا شنودة الثالث، ط الأنبارويس الأوفست _ القاهرة _ ط 5 2000م ،1/ 25.

109 انظر بتوسع: التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة وترتيب الكهنوت، جماعة من اللاهوتيين الأرثوذكس، ص 111 – 114 ، إنجيل يوحنا 20 : 23.

110 انظر : البابا شنودة الثالث: الكهنوت 1/ 158.

111 انظر: المرجع السابق158/1.

ثم تحدث القرآن الكريم عن الكهنة أو الأحبار فوصفهم بأنهم أوعيـة لحفـظ كـلام الله **U**، وينهاهم عن كتمان شيء من كلام الله مخافة الناس، أو مجاملة أحد أياً كان موقعه، فيقول **I** : **(**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا**)** [المائدة:44].

ورد في سبب نزول الآية السابقة: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ **r** بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا(أي مسود الوجه) مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ **r**، فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ **r** : اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: 41] إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: 41]، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا **r**، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ- تَعَالَى- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: 44] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: 45] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة: 47] فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا. [112]

ثم يختلف حديث القرآن الكريم مع الأحبار عندما حادوا عن الحـق، فكـان التـوبيخ والـذم للأحبار؛ لكفرهم وصدهم الناس من وراءهم عن أن يبصروا الحق فيقول الله **I** : **(**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)** [سورة الجمعة:5].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-:" ... كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيهـا، فهـو يحملها حملا حسيا، ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظا ولم يفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حـالاً مـن الحميـر؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ

112 صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم أهل الذمة في الزنا،ح رقم 3212.

بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] وقال هاهنا: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾" [113].

المطلب الثاني: زعم الكهان علم الغيب والرد عليه

أ.زعم الكهان علم الغيب والرد عليه:

بالنظر إلى طبيعة عمل الكاهن من تنبؤ بالغيب، وإخبار بالمستقبل .. وغير ذلك، يتبين أن الأمر ليس علماً للغيب، بل يرتبط باستراق الجن لما يقضي الله U من الأمور حين تتحدث به الملائكة فيما بينها، فيلقون به إلى الكهنة، روى البخاري عن أبي هريرة أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ r قَالَ: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنْ السَّمَاءِ" [114].

وبينت رواية عَبْدِ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ ذلك، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ r مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ r رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ r: مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ r: فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ: الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ،وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ(يخلطون فيه الكذب) فِيهِ وَيَزِيدُونَ "[115].

وبين المولى I كذب الكهنة وحقيقة علاقتهم مع الجن، فقال U:﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[الشعراء:221-223] .

---

113 تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق:سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2 1420هـ - 1999م، 8/ 117.

114 صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، ح رقم 4426..

115 صحيح مسلم،كتاب الطب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح رقم 2229.

فالإسلام أبطل عمل الكهانة، وجاءت آيات القرآن الكريم في أكثر من موضع تحذر من ذلك، وتوضح مصير من يحاول استراق السمع، قال I :(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)[الصافات:6ـــ10].

وأمر الله نبيه r :(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) [الأعراف:188]، وقال I :(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام:50].

ومن المعلوم أن علم الغيب من خصائص الله U، كما قال الله I : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:26- 28]، فعلم الغيب خاص به I ، فهو عالم الغيب والشهادة الذي يعلم كل شيء.

ويقول I : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:59]، فهذا من خصائص الله U، وعلم الغيب يجب ألا يكون لأحد من الناس، وإن اعتقد الإنسان أن أحداً من الناس يعلم شيئاً من الغيب فقد جعل له شيئاً مما هو من خصائص الله U، والكهانة والكهان أعطوا أنفسهم هذا الحق الذي لا يجوز إلا لله U.

وقد يُفتن بعض الناس فيما يرى من إخبار الكهان والسحرة وغيرهم عن بعض الغيبيات التي قد تقع كما أخبروا، فبين النبي r حقيقة ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي r: قَالَتْ:" سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ r عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ r: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللهِ r: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ"[116].

والكلام في الغيبيات يشمل الكهانة، والخط في الأرض، وقراءة الكف والفنجان، والنجوم، وكذلك العرافة؛ فكل ذلك ادعاء لعلم غيب غير حاضر بتعاون مع الجن، فيتكلم هؤلاء جميعاً عن الغيب وكأنه مكشوف بين أيديهم، فكل ما سبق من جنس واحد رغم تعدد الأشكال.

116 صحيح مسلم ، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح رقم4135.

ب. أشكال الكهانة الأخرى:

من الكهانة الخط في الرمل وضرب الحصى والاستسقاء بالأنواء،و تفصيل ذلك فيما يلي [117]:

أ. **الخط في الرمل**: وهو الذي يخط في الرمل، ويدعي معرفة الغيب به، فإذا ما استشاره إنسان في قضية ما ليفعل أو لا يفعل، فإنه يخط لذلك خطوطاً كثيرة في الرمل بسرعة حتى لا يعرف حسابها، ثم يرجع فيمحو اثنين اثنين حتى ينظر الباقي، فإن بقي خط قال: افعل، وإن بقي اثنان قال: لا تفعل، وهذا تدخل واضح في علم الغيب.

(ويزعم أصحاب الخط أن عملهم له أصل في حياة بعض أنبيائه، ويستدلون على ذلك بقول النبي r لما سُئِلَ عن الخط قال:" كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ. [118].

وهذا الحديث لا حجة لهم فيه، بل فيه رد عليهم من وجهين[119]:

- **الأول**: أنَّهُ آية، وآية النبي لا يمكن لأحدٍ أن يدركها، فأصل الخط آية عَلَّمَهُ الله U هذا النبي ليكون دلالة على ما يُعَلِّمُهُ الله I ، فلا يستطيع أحد أن يفعل مثله؛ لأنها آية مُخْتَصَّة به، ولو كانت بمقدور آخرين لما خُصَّ النبي بهذه الآية.
- **الثاني**: أَنَّ النبي r أحَالَ على مستحيلٍ قال «فمن وافق خطه فذاك» ، وهذا لا يمكن لأحد من هؤلاء الذين يَخُطُّونْ من الكهنة والعرافين وأمثالهم أن يقول هكذا خَطَّ ذاك النبي، أو أَنَّ هذه آية من جنس آية ذاك النبي .

ب. **الضرب بالحصى**: وهو الشخص الذي يجمع عنده حصىً كثيرة، فإذا جاءه إنسان يستشيره، يأخذ منها ويرمي حتى تصبح كثيرة ، ثم يأخذ منه حجرين حجرين، حتى ينظر هل يبقى واحد أم يبقى اثنان، فإن بقي واحد تفاءل، وإن بقي اثنان تشاءم، وهذا افتراء على الله I ؛ لأنهم يدعون معرفة الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله. [120]

ج.**المستقسم بالأزلام**: وهي عبارة عن حجارة كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، فأبطلها الإسلام، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة:90] ، فجعلها رجساً،(أي:نجساً)، وقال I لما ذكر المحرمات: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ} [المائدة:3] إلى قوله: {وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة:3] ،

117 انظر:شرح الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث- القاهرة 1421ه-2000م، ص432

118صحيح مسلم ، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان،ح رقم 4133.

119 القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين،دار ابن الجوزي _ السعودية، ط2- 1424هـ، 414/1، 415.

120 شرح الطحاوية لإبن جبرين 94/4

حيث كان أهل الجاهلية يجعلون هذه الأزلام في كيس، فإذا أرادوا أمراً من الأمور استقسموا، فجاءوا إلى ذلك الكيس فنفضوه، ثم أخرجوا منه واحداً، فإن خرج الذي يقول له: افعل؛ فعلوا، وإن خرج الذي يقول: لا تفعل؛ تركوا، وإن خرج المهمل الذي ليس فيه شيء؛ أعادوا تقليبها مرة ثانيةً، وهكذا؛ فأبطل الله- تعالى- ذلك، وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ r لَمَّا قَدِمَ(أي الكعبة) أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ.[121]

د. **العراف**: وهو الذي يتعاطى معرفة الأشياء المستقبلية أو الأمور التي غابت عن الناس من سرقة الشيء أو كون الإنسان الغائب يحصل له كذا وكذا أو ما أشبه ذلك، فكل من كان بهذه الصفة فهو من العرافين.

ه. **المنجم**: فهو الذي يدعي علم الغيب بسير النجوم، يقول: علامة المطر أن يكون هذا النجم في المكان الفلاني في الليلة الفلانية فينزل مطر، ويقولون مطرنا بنوء(سقوط النجم) كذا أو نجم كذا، أو ينزل برق، أو ارتفاع الأسعار، وما في معناها زاعمين أنها تدرك بمعرفة سير الكواكب في مجاريها، وهذا بلا شك تدخل في علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ومن اعتقد تأثير ذلك في نزول المطر فهذا شرك وكفر بالله **U**.[122]

وفي الحديث الصحيح "أن النبي r صلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ"؛[123] أي: جعل الكوكب هو الذي يؤثر في الكون، وهو الذي يثير السحب، وهو الذي ينزل المطر، وذلك كله حق الله- تعالى-، فهو الذي ينفرد بذلك، يقول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف:57] ، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} [الروم:46] يعني: تبشر بالرحمة

121صحيح البخاري،كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، ح رقم 1498.

122انظر:فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ، دار الفكر -لبنان،ط7 1399ه-1979م، ص323- 325، و قرة عيون الموحدين، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، ص184

123صحيح البخاري،كتاب الآذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم،ح رقم801

وبالمطر، فيرسل الله الرياح فتثير السحاب، ويحمل الله السحاب ماء فيصرفه الله- تعالى- حيث يشاء، وينزله حيث يشاء: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا} [الفرقان:50] صرفناه يعني: جعلنا المطر على هذه الأرض أكثر، وعلى هذه أقل، كيف يشاء الله- تعالى-، فالكواكب ليس لها تأثير، فمن ادعى أن النجوم لها تأثير فإنه ممن يتدخل فيما لا يعنيه، ويقول على الله- تعالى- بغير علم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :" أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ النَّاسُ النِّيَاحَةُ وَالطَّعْنُ فِي الْأَحْسَابِ وَالْعَدْوَى أَجْرَبَ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِائَةَ بَعِيرٍ مَنْ أَجْرَبَ الْبَعِيرَ الْأَوَّلَ وَالْأَنْوَاءُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا "[124].

المطلب الثالث: الكهانة بعد بعثة النبي r

كانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي r فلما بعث رسول الله r حُرست السماء حراسة شديدة، فلم يستطع أحد من الشياطين الوصول إلى شيء من العنان؛ لأنهم يرجمون، فلهذا أخبر الله U عن الجن أنهم قالوا: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن:9]؛ أي: لا أحد منهم يستطيع استراق السمع، وكل هذا صيانة للوحي؛ لئلا يسترق شيطان من الشياطين شيئاً من الوحي الذي يوحى إلى النبي r فيذهب به إلى الكهان؛ فيكون في ذلك فتنة للناس، ويقال: إن هذا الكاهن أخبر بما يقوله الرسول r، وما يقوله إنما هو من نوع الكهانة، فحماه الله U، فلما انتهى الوحي بموت رسول الله r أصبحت الأمور على ما كانت عليه، يعني: أمكن الشياطين أن يستمعوا، ويأتون إلى أوليائهم من الإنس بما يخطفون ويزيدون معه، والشيطان يزيد مائة كذبة، فيلقيها على الكاهن، والكاهن كذلك يزيد فيها ويكذب، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ r أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ:" إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ "[125] فيختلط الصدق بالكذب ويصدق بعض الناس هذا الكذب من أجل كلمة واحدة.

وأما ما يحدث من إخبار بالغيب في واقعنا الذي نعيش فيه فهو من خلال القرين من الجن الذي يرافق الإنسان، فإذا جاء هذا الذي أصيب بهذه الإصابة فقرين الكاهن الذي يتعاطى هذه الأمور يسأل قرين المصروع ما الذي صار؟ فيخبره بالواقع، وأنه صار فيه كذا وكذا، وصار له كذا وكذا، فيذهب القرين ويخبر وليه الكاهن الذي يتعاطى الأمور الغيبية، فيخبر الكاهن أصحاب المريض أو يخبر المريض بأنه صار لك كذا، وصار لك كذا، ويكون هذا فتنة؛ لأنهم يصدقونه

---

124 سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النوح، ح رقم 922 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

125 صحيح البخاري،كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة،ح رقم 2971.

ويقولون: إن هذا من الكشوفات التي تدل على أنه ولي، أو إن عنده أمــوراً يعــرف بهــا هــذه الأشياء، وقد يشفى جراء ذلك ابتلاء وامتحاناً، وهذا قد جاء الوعيد فيه لمن يفعله، وأنه ليس مــن أتباع رسول الله r على دينه، كما قال r: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، وَمَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّــرَ لَهُ"[126] وهذا نوع منه.

وكذلك كل من يتعاطى أموراً من أمور الغيب سواءً بأسباب يذكرها وأمور يتعلــل بهــا أو بمجرد حدس يحدسه ويظنه أو بمجرد أنه يزعم أنه يكشف له الأمر؛ لأنه من الأولياء فهذا شرك؛ لأن أولياء الله لا يخالفون أمر الله ولا يخالفون كتابه، ولا يقول الولي للناس: اعلموا أنــي ولــيٌ، وأني أعلم كذا، وأعرف كذا، فإن هذا يريد من الناس أن يعتقدوا أنه وليّ حتى يتحسن له ما يكون في قلوبهم من المنزلة أو ما يتحصل له من أمور الدنيا، فهو دجال، فيجب أن يُحذر ويُعلــم أنــه ليس من أولياء الله، بل من أولياء الشيطان، فأولياء الله الذين تحدث لهم الكرامة ليس من شــأنهم وليس من صنعهم أنهم يدعونها لأنفسهم، وإنما تحصل لهم إما بدعاء يدعونه الله U لحاجة لهم أو لغيرهم فيحصل ذلك، أو بعمل يعملونه وليس لهم فيه دخل وإنما هو من توفيق الله، ثــم هــم لا يدعون الناس إلى أن يعتقدوا أنهم أولياء أو أنهم ينظرون إليهم، بل عندهم خوف من الله وازدراء لأنفسهم، ويود أحدهم أنه لا يكون له ذكر عند الناس أو شهرة، بل يــود أن يكــون مغمــوراً لا يُعرف؛ لأنهم يقصدون ما عند الله، ولا يقصدون ما عند الناس، فإذا قصد الإنسان ما عند النــاس فمعنى ذلك: أنه يريد الدنيا، وهذا شرك بالله، ولا يكون من أولياء الله.) 127.

_ حكم إتيان الكاهن ومن على شاكلته:

الكهان يُحرمون من دخول الجنة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "لَــا يَــدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا كَاهِنٌ وَلَا مَنَّانٌ"[128]

ثم نهي النبي r عن إتيان الكاهن، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّــرُ، قَــالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ[129]

126 الكنى والأسماء: أبو بِشْر الأنصاري الدولابي الرازي(ت 310هـ)،تحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم - بيروت/ لبنان،ط الأولى،1421 هـ - 2000م،ح 2083.

127 انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد،ص 304، 305.

128 مسند الإمام أحمد ح 10684

129 صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح رقم 4133.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خِلَاسٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ r قَالَ:" مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ r " [130] .

ورُوِي عَنْ نَافِعٍ، عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[131] .

ومصير من يذهب للعراف (لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ)، قال النووي وغيره:" معناه: أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، فالعلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة"[132].

وهذا يدل على أنه لا يكون كافراً لقوله r : (لم تقبل منه صلاة)، ومعلوم أن الكافر لا يقبل منه أي عمل، فهو مسلم، ولكن ترتب على فعله هذا الوعيد.

أما قوله r (مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ r ")، فمن أتى مصدقاً للعراف أو الكاهن فقد كفر بما أنزل على محمد r (الكتاب والسنة)؛لأن التصديق يجعله مشاركاً لهذا العراف أو الكاهن في عمله، وسؤاله فيه ميل إليه، ورفع لشأنه واهتمام به، ولا يجوز للإنسان أن يهتم بالكاهن، ولا أن يرفع من شأنه، ولهذا لما سئل النبي r قال مقللاً من شأنهم: (ليسوا بشيء)، فالواجب أن نزجره ونقاطعه، حتى يعلم أنه على باطل وضلال.

ومجرد الإتيان إلى الكاهن من أصله محرم ولو لم يصدق، إلا إذا أتى إليه لينكر عليه، ويبين بطلان ما هو فيه، ويحذر الناس لئلا يغتروا به.

فصاحب هذا الإتيان يأتي للإنكار وليس للموافقة، أما إذا جاء ليتفرج وليسمع ولينظر فإنه داخل في الوعيد.

قد يتوهم بعض الناس أن هناك اختلافاً بين الأحاديث السابقة، والأمر في حقيقته خلاف ذلك:

فالأول: مجرد الإتيان، فهو محرم ومنهي عنه لقوله r :(فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ) كما سبق.

والثاني:أن يأتي الإنسان الكاهن ويسأله ،فهذا لا تقبل صلاته أربعين ليلة، لقوله r : (لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

والثالث: إذا كان سؤال وتصديق، فهذا كفر، لقوله r : (فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ r) .

ومما سبق يتضح أنه لا تناقض بين الروايات السابقة، بل لكل مرحلة حكمها الخاص بها.

---

130 مسند أحمد ح 9171

131صحيح مسلم ك السلام،باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ح رقم4137.

132 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط 2،1329ه، 227/14.

المطلب الرابع: فضح الإسلام للكهنة في أكلهم أموال الناس بالباطل

مما سبق يظهر بوضوح تسلط الكهنة والأحبار والرهبان على أموال الناس، وذلك من خلال القداسة التي أعطوها أنفسهم، فشرعوا لأنفسهم شرائع وقوانين ضمنت لهم توفير أكبر قدر من الأموال، مخالفين بذلك شرائع التوراة .

فجاء الإسلام وفضح الكهنة والأحبار والرهبان وتلاعبهم في أكلهم أموال الناس بالباطل، فقال I : **(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)** [التوبة:34] .

فاستغلوا مناصبهم ورياستهم في الناس وأكلوا أموالهم بالباطل، ففرضوا هدايا وضرائب كما سبق تجئ إليهم رغماً عن الناس تحت مسمى شرائع توراتية، فلما بعث الله U رسوله r استمروا على ضلالهم وكفرهم، ففضحهم القرآن، وبين بأنهم بذلك يأكلون أموال الناس بالباطل، بل يستغلونها للصد عن سبيل الله، واستعباد الناس وحرفهم عن الحق ودفعهم للشرك بالله I [133].

ولا يزال الأحبار والرهبان والكهنة يأكلون أموال الناس بالباطل، وينفقون مئات الملايين للصد عن سبيل الله، فينفقونها في دعم الحركات الهدامة، وما يسمونه بالتبشير... وغير ذلك من وسائل الصد عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، ثم إلى جهنم يحشرون .

ولقد بين القرآن الكريم بإيجاز تلاعب الأحبار والكهنة في تحريف التوراة لضمان معاشهم الذي يتقاضونه من عامة اليهود، ثم يقولون هذا من عند الله، فتوعدهم الله U بالويل على هذا الكذب، فقال I : **(**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**)** [سورة البقرة :79]، نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ غَيَّرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ r وَبَدَّلُوا نَعْتَهُ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنَّهُمْ غَيَّرُوا صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ r فِي كِتَابِهِمْ وَجَعَلُوهُ آدَمَ سِبْطًا طَوِيلًا، وَكَانَ رَبْعَةً أَسْمَرَ، وَقَالُوا لِأَصْحَابِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ: انْظُرُوا إِلَى صِفَةِ النَّبِيِّ، الَّذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَيْسَ يُشْبِهُ نَعْتَ هَذَا، وَكَانَتْ لِلْأَحْبَارِ وَالْعُلَمَاءِ مَأْكَلَةٌ مِنْ سَائِرِ الْيَهُودِ، فخافوا أن يذهبوا مَأْكَلَتُهُمْ إِنْ بَيَّنُوا الصِّفَةَ، فَمِنْ ثَمَّ غَيَّرُوا[134] .

ففتحوا باب الدَّجَل والكذب و التحايل على الناس؛ ليأخذوا أموال الناس بالباطل، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ:" إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ

---

133 انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 24/4.

134 أسباب نزول القرآن، للواحدي، دار الإصلاح – الدمام، ط 2، 1412 هـ - 1992 م،ص 26.

بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لَا هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّه U لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ." [135]

وما يأخُذُهُ المُتَكَهِّن من المال فهو حرامٌ عليه وخبيث لما ذكره مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ[136] .

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ، قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ.[137]

فهذا من حيث الكسب حرام، ومن حيث السؤال حرام، وذلك لعِظَمِ هذا الذنب، فإنه لا يجوز إقراره ويجب على من يقدر على إنكاره أن يُنْكِرْ، فيجب على العلماء والدعاة وولاة الأمر أن يُبَيِّنُوا ذلك ويغيروا هذا المنكر كل حسب موقعه وإمكانياته.

المطلب الخامس: الإسلام ينكر قداسة الأحبار والكهنة ووساطتهم للناس عند الله U

أولاً: بطلان قداسة الأحبار والكهنة

بين القرآن الكريم حقيقة العلاقة بين الأحبار والكهان وعامة الناس، هذه العلاقة القائمة على الطاعة العمياء لهم دون أن يسألوا دليلاً أو برهاناً على ما يؤمرون به من الشرائع، قال سبحانه وتعالى: **(**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**)** [سورة براءة :31].

وعبادة اليهود للأحبار والرهبان لم تكن بمفهوم السجود والركوع، بل كانت عبارة عن طاعتهم لأحبارهم فيما يأمرون دون مناقشة أو مراجعة، حتى وصل الأمر لأن يخالف الإنسان معتقده في الواقع، فإذا قال الحاخام يدك اليمنى هي اليسرى فصدقه، فكان للكهنة والأحبار سطوة فرضوها على أتباعهم، والتي لا تحتمل المناقشة مطلقاً، دل على ذلك ما ورد عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ " [138].

135 صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر و الميتة والخنزير والأصنام، ح 2960.

136 صحيح البخاري كتاب البيوع باب ثمن الكلب ح 2083

137 صحيح البخاري كتاب المناقب باب أيام الجاهلية ح 3554

138 سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ح 3020

بل وصل الأمر باليهود والنصارى لأن يستأثروا بالجنة دون سواهم، فأجبروا الناس على المثول أمام الأحبار والكهنة والقساوسة والاعتراف بخطاياهم، والتذلل أمامهم وطلب الغفران لهذه الذنوب، فأعطوا أتباعهم صكوك الغفران التي ضمنوا من خلالها لهم الجنة، مقابل مبالغ مالية يدفعونها لهؤلاء الكهنة والرهبان، فكانت مقولتهم التي أخبر الله I عنها، فقال I :(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[سورة البقرة:111].

فكان هذا الخطاب القرآني بمثابة فضح لهؤلاء الكهنة والأحبار الذين صبغوا أنفسهم بهذه القداسة الزائفة التي تسلطوا من خلالها على الناس وأجبروهم على الاعتراف بخطاياهم، والوقوف أذلاء أمامهم يسألونهم الصفح والمغفرة، فيمنحونهم الجنة، مقابل دراهم يدفعونها لأحبارهم وكهنتهم، فطالبهم القرآن أن يأتوا بدليلهم الذي ضمنوا من خلاله الجنة لأتباعهم، ولكن أنى لهم .

ثانياً: بطلان مفهوم الوساطة في الإسلام

هدم الإسلام النظرة الإلهية للكهنة والأحبار وغيرهم، وألغي الوساطة بين الله وبين العباد؛ حتى لا يبقى لهؤلاء سلطة على الناس، وتبقى صلة العباد بربهم صافية لا تعكرها شهوات ومصالح الكهنة والحاخامات .

وإذا ما نظرنا إلى سفر اللاويين فإنه يركز على الكهنة ومكانتهم، وترسيخ مفهوم الوساطة فيما بين العباد وربهم I ، وحُرم الناس من التقرب إلى الله U مباشرة، وربطت طقوسهم وشعائرهم بأحبارهم وكهنتهم، وحرفوا كتبهم بما يخدم فكرتهم، فخلا الخطاب في سفر اللاويين من الحديث للناس مباشرة ، مما يعني حرمان الناس من أي محاولة للتقرب من الله مباشرة، فأكثر الخطابات وردت كما يلي :

" [1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [2]«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " [139] .

أو " [8]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [9]«أَوْصِ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلاً... [140] .

أو "[22]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [23]«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً... " [141] .

أو "[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً لَهُمَا: [2]«كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ...".[142]

"[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [2]«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ".[143]

139اللاويين (4: 1 ، 2)

140 اللاويين 8/6، 9

141 اللاويين 22/7، 23

142اللاويين (11: 1 ، 2) .

143الخروج 1/14، 2

ولا يوجد في السفر نص واحد فيه خطاب مباشر لبني إسرائيل يشعرهم بقرب من ينـــاديهم، بل الأسفار الأخرى كانت صورة مطابقة غالبا لما في سفر اللاويين، وهذا يدل علـــى أن الكهنـــة من بني هارون حرفوا وبدلوا في هذا السفر وغيره ليحافظوا على قداستهم، وتبقى الهيمنـــة لهـــم على عامة الناس، فالشعب ليس بإمكانه الاتصال بالله U إلا عن طريق الكهنة من بني هـــارون الذين ورثوا مهمة موسى وهارون على زعمهم، فهم حلقة الوصل بينهم وبين الله U، تعـــالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فلما جاء الإسلام بين زيف كل ما سبق، وخاطب القرآن الكريم الجميع بما يتناسب مع حاله، وخص الفئة المؤمنة بحديث خاص ملؤه المحبة والرحمة، وهذه نماذج للخطاب القرآني :

أ. خطاب القرآن الكريم للمؤمنين:

قوله U ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـــونَ) [الحج:77]، وقوله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) [التحريم:8]، (اسْـــتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [الأنفال:24] ، وقوله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [براءة :119]، وقوله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ)[براءة الآية:23] ، وقوله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) [الأنفال:20].

ب. خطاب القرآن الكريم لبني إسرائيل:

رغم حرمان بني إسرائيل في توراتهم من الخطاب المباشر، وجه القرآن الكريم خطابه لبنـــي إسرائيل مباشرة في مواضع كثيرة، فقال U:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْـــتُ عَلَـــيْكُمْ وَأَوْفُـــــوا بِعَهْـــــــدِي أُوفِ بِعَهْـــــــدِكُمْ وَإِيَّـــــــايَ فَـــــــارْهَبُونِ﴾[البقـــــــرة:40] وقال سبحانه﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِـــي أَنْعَمْـــتُ عَلَـــيْكُمْ وَأَنِّـــي فَـــضَّلْتُكُمْ عَلَـــى الْعَالَمِينَ)[البقرة :47].

وقال U ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) [آل عمران :64].

وقال U (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) [النساء :171].

وألغى الإسلام الواسطة بين المولى U وعباده، وأعلن قربه مـــنهم، فقـــال I :(وَإِذَا سَـــأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)[البقرة :186]، وقال I (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر:60]، وشنع علي من يتخذ وسيطاً بينه وبين ربه، فقال I (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الزمر: 43، 44].

وبين مصير من اتخذ شفعاء ووسطاء كيف تُقطع الأسباب بينهم وبين شفعائهم يوم القيامة، فيقول I :(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام:94].

ثم بين الأدب في هذا التواصل المباشر مع المولى I فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ r فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ r : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ".[144]

وفي رواية: " وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ "[145] كناية عن قرب الله -سبحانه وتعالى- من المؤمن.

وبهذا يكون الإسلام قد ألغى نظام الكهانة والوساطة، وأتى عليه من القواعد، وعلى كل نظام يمكن أن يقف بين الله U وبين عباده.

النتائج:

- الديانة اليهودية مليئة بالخرافات والأساطير التي تدل على بشريتها وتحريفها، والكهانة واحدة منها.
- التشدد والتعقيد سمة ظاهرة في عبادات وشرائع اليهود.
- سماحة ويسر الإسلام ما يؤكد ربانيته وعالميته.
- الكهانة والكهان أصنام وأرباب تعبد من دون الله -عز وجل-.
- الاعتقاد بوحدانية الله -تعالى- تتفق مع العقل والفطرة، في حين تتناقض مفاهيم الكهانة مع العقل والفطرة.
- حرفت التوراة بأيدي الكهان والأحبار اليهود؛ لتبقى بأيديهم السلطة والهيمنة على الناس.
- امتهن الكهنة هذه الوظيفة، وأعطوا أنفسهم قداسة؛ ليحافظوا على مصدر دخلهم.
- القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما توضيح لكل قضايا الأمة، وعليه يجب ألا نلتفت لغيرها مطلقاً.

144صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير،باب مايكره رفع الصوت في التكبير ح 2770.

145 صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء،باب استحباب خفض الصوت بالذكر ح 4874

- كفر الكاهن والساحر ومن على شاكلتهم، ممن يدعون علم الغيب ويتسلطون على الناس.
- العقيدة الصحيحة صمام أمان من التخبط والانحراف الذي وقع فيه كثير من الناس.

التوصيات:

- على أهل الاختصاص تصحيح المفاهيم العقائدية مما أصابها من لبس وغموض عند بعض الناس.
- قراءة التوراة لأهل الاختصاص وبيان ما فيها من باطل، ودعوة أتباعها للحق في القرآن والسنة.
- الكتابة في مسائل العقيدة وتبصير الناس بها؛ لما لها من أثر في الدنيا، وقبول العمل في الآخرة.